



من قصص التاريخ

جاسبار هوزيه

١٨١٢ - ١٨٣٣

للأستاذ عبد اللطيف النشار

« في هذا اليوم أترك للمرة الأولى سجنًا مظلمًا وضعت فيه منذ مولدى ولم أقتل منه ، ولم أعرف غيره . ولست بالأعمى ولكن لأول مرة ترى عيناى اليوم ضوء الشمس ، ولست بالأصم ولكنى إلى ما قبل لحظات لم أكن أعرف ما الأصوات ؛ وهكذا أنا بينكم لا أستطيع المشى ولا السماع ولا النظر . إننى رجل ولكنى أقل بينكم من الأطفال .

وكانت قوانين هذه المدينة شديدة على المتشردين ، فلما رأى الجنود جاسبار مرتعياً على الأرض قادوه إلى قسم البوليس ، ولكن كان عبثاً ما حاوله المحققون من الحصول على إجابة منه وخطر يبال واحد منهم أن أمامه دواة وقلماً وورقة ، فلما رأى جاسبار هذه الأشياء تناول القلم وكتب اسمه فاستدل المحققون بذلك على أنه يدعى الخرس والصمم ، وعلى أنه متشرد فأرسلوه إلى السجن

وكان من بين الذين حضروا التحقيق معه طبيب اسمه الدكتور « دومر » وقد استرعت هذه الحالة اهتمامه فصار يموده في السجن ويترقب تصرفاته

ولما جرى إليه في السجن بقطعة من اللحم ويقدح من الخبز ارتاح ورمى بالقدح ، وجرى له بقطعة من الخبز ويقدح من الخبز فتهلل وجهه وتغدى منشراحاً ثم نام

وفي خلال الأيام الأولى زار السجن عدد كبير من الناس ليروا هذا المجهول . وكان بعضهم يحمل إليه الكمك ، والبعض يحمل إليه اللب

وكان الفريق الأخير حكماً لأنعاماً المعقولة مع مثل هذه المخلوق هي معاملة الأطفال . لكن جاسبار كان يرفض كل مايقع إليه إلا جواداً خشبياً حين رآه تهلل وأبدى رغبة دالة على الصبر في الحصول عليه . فأدرك النظارة من ذلك أنه كان يرمي مرة مثل هذا الجواد الخشبي ، وأنه كان فى يأس من استرجاع

إن كان البؤس مؤهلاً لبقاء الذكرى فليس أحد أحق بأن يعيش فى ذاكرة الناس من جاسبار هوزيه .

أربى عمره على العشرين ولكنه لم يعيش فى الواقع إلا أربعة أعوام ، وذلك لأن بقية عمره يجب أن تحذف من حساب الأعمار . عاش ما بين العام الذى ولد فيه وبين اليوم الذى بلغ فيه من العمر ثمانية عشر عاماً ، وهو يجهل تمام الجهل ما يعلمه الأطفال دون عمد — ما يملونه بالقرينة وحدها . كان يجهل مثلاً أن فى الدنيا مزارع وأن فى هذه المزارع طيوراً وزهوراً ؛ وكان يجهل أن فى الدنيا رجالاً وأن هؤلاء الرجال يمشون ويضحكون ويكونون ؛ وكان يجهل أن فوقنا سماء وأن فى السماء كواكب وأن أحد هذه الكواكب يضىء فى النهار وبقية تير فى الليل .

هكذا عاش ثمانية عشر عاماً وهو لا يعرف شيئاً عن الدنيا ولا عن الناس ولا عن الأفراح ولا الأحزان .

وفى يوم ٢٦ مايو سنة ١٨٢٨ وجد جاسبار هوزيه عند باب مدينة نورمبرج فى بافاريا وكان هذا أول عهد الناس به وعهده بالناس .

ولما ترك هذا الباب حاول المشى ولكن قدميه خاتاه لأنه لم يمتد المشى فرقع . وهو الآن يعيش لأول مرة فى الطريق وهمهم بأصوات غير مفهومة لأنه لا يعرف الكلام . ولو كان يعرفه ناطب الناس بهذا القول :

وزاد استغرابي لما وضع عصاية على عينيّ وحلني فلم أسأل نفسي عما يراد أن يصنموه بي

وهنا تخونني ذا كرتي ولكن أحسب أن وجودي في الطريق لأول مرة صدم أعصابي وأظن أنهم أزالوا العصاية عند باب « نورمبورج »

وأقام جاسبار عند الدكتور درمر وصار يرافقه في الأسواق ويظهر بين الناس . وفي أحد الأيام أصيب جاسبار وهو يدخل باب المنزل بطعنة من خنجر قذف به فجرح في جبينه ولكن الجرح كان خفيفاً . ولم يتمكن أحد من معرفة الذي سرع في قتله لكن هذا الشروع كان كافياً للدلالة على أن حياة جاسبار لم تكن في مأمن بتلك المدينة .

وطلب اللورد ستانهورب وهو من أغنياء الانكليز إلى الدكتور دومر أن يترك له جاسبار فتركه له . وأرسل جاسبار إلى مدرسة في انكلترا . وكان يقيم بها في منزل الدكتور منهلمان .

وفي يوم ما كان جاسبار يسير بالقرب من متحف أوزن فأصيب بطعنة وهرب الذي طعنه .

وعلى الرغم من أن الطعنة كانت مميتة فقد تمكن جاسبار من العودة إلى منزل الدكتور منهلمان . وكان كل ما استطاع أن يفوه به قبل موته أنه ولد في ٣٠ ابريل سنة ١٨١٢ في بافاريا .

وأعلن اللورد ستانهورب أنه يكافئ من يرشد عن قتله بخمسة آلاف فلورين ، ولكن البحوث الرسمية وغير الرسمية ذهبت كلها سدى . ومات جاسبار في ١٧ ديسمبر سنة ١٨٣٣ .

عبد اللطيف النشار

أطلب مقالات
الاستاذ النشار شبيب
وكاتبه
الاستاذ الصالح
من مكتبة الرند، شارع الفلكي (باب الدار)

من المكتبات العربية المشرفة

وعلى التدرج استطاع جاسبار رؤية النور وسماع الأصوات ، وكان من قبل يكي عندما يسمع دقات الساعة من الكنيسة المجاورة وينزعج عندما تمر بالقرب من السجن فرقة موسيقية . وقد أغمى عليه في أول مرة سمع فيها الألحان

وكان الدكتور « دومر » يراقب في اهتمام شديد كل هذه التطورات ، فلما اقتنع بإمكان تعليمه طلب إلى ولاية الأمور تسليمه إليه . وبدأ يعلمه ووجد تقدمه مستمراً . وبعد مدة كتب جاسبار تاريخ نفسه في المجالة الآتية :

« كنت لا أعرف كم عمري لأنني لم أكن أشعر بوجود الأيام والليالي ولا ببدلول العمر ، ولكني كنت أشعر بوجودي في الغرفة المظلمة التي لم أعرف غيرها . وكان رجل يزورني كل يوم ويأتي بالطعام ، وكنت أشعر بأنني غير وحيد في هذه الدنيا . وقد وضع لرجل أُمامي شيئاً لم أكن أعرف ما هو لكن شكله كان يسرنى ، هو جواد خشبي ، وكنت أرى ذلك الرجل يمشي فأحاول المشي مثله ولكني كثيراً ما كنت أقع أو يصطدم رأسي بالحائط . وأنهم لأن — ولكني لم أكن أفهم من قبل — أن تياي كانت بين بين وآخر تبديل بشتاب أنظف وأن شعري كان يقص . وأحسب ، ذلك الرجل كان يضع في طعامي غدراً ليتمكن من إحداث لنا التغيير دون أن أشعر

وفي يوم من الأيام جاء بدواة وقلم وورقة وأمسك يدي بوزني كتابة اسمي ولم أكن أعرف معنى لهذه الحركة ولا للاسم ي أكتبه . ولكن سهل عليّ ذلك بحكم الاعتياد . وأظن مني كتابة اسمي قد استغرق نحو عام من العمر . وأحسب أن الاسم ليس هو اسمي الحقيقي ولكنه الاسم الذي أرادوا أن لقوه عليّ . على أنني غير راضٍ عنه وأريد إن مت أن يكتب قبري : « المجهول »

ولست أشك في أن أبي أراد إنكارى ولم يرد قتلى وهذا هو الذي يجعلني أعتقد أن اسم جاسبار هو زيه ليس اسمي . ويظهر لي أصبحت عبثاً ثقيلاً عليهم بعد إذ بلغت هذا العمر فأرادوا خلص مني . ففي أحد الأيام دخل الرجل الذي اعتاد أن يحمل الطعام والشراب ولكنه لم يقدم لي طعاماً ولا شراباً فاستغربت